حقوقهم » ويضيف المصدر نفسه ان القسام كان يقاوم بشدة انفاق اموال الاوقاف في تشييد الابنية (فندق الاوقاف بالقدس) وتزيين المساجد بما فيها المسجد الاقصى نفسه ، لان اعداد الشعب للجهاد وتسليحه لخوض المعركة افضل واحق من الامور الشكلية التي يمكن انجازها في أوقات أخرى أكثر مناسبة ، خاصة وان المبالغ التي انفقت في ذلك قدرت بمئات الالوف من الجنيهات الاسترلينية التي كان بالامكان تسليح خمسة الاف مقاتل بها آنذاك ، لكنه لم يؤخذ بهذا القول(٧٦) .

وقد تصدت نشرة « فلسطين » التي تصدرها الهيئة العربية في بيروت لهذا القول فنشرت بيانا لاخوان القسام ردوا فيه على ما جاء بالمصدر السابق ، واعلنوا ان الشيخ القسام وجميع اخوانه وزملائه وتلامذته كانوا يعملون بتعاون تام مع مفتي فلسطين وبتفاهم معه ، وبتوجيه وتأييد منه ، وان المرحوم الشيخ كامل القصاب كان هو الوسيط الوحيد بين المركز الرئيسي للمجاهدين القساميين وبين المفتي، وانه كان يسافر الى القدس بين فترة واخرى ، ويعود حاملا للمجاهدين التوجيه الوطني والمدد المادي(٧٧) .

تلك هي الاراء المختلفة التي قيلت في صدد ثورة الشيخ القسام او تبعيتها لحزب او اتجاه معين ، لكني اعتقد من دراستي لهذه الحركة ومن تتبع ادوارها انها لم تكن تابعة لاحد . وقد يكون للقسام علاقات مع الحزب العربي الفلسطيني او مع حزب الاستقلال ، وقد يكون على صلات طيبة مع قيادة الحركة الوطنية ، لكن ذلك لا يعني ارتباطه بتلك الاحزاب او تبعيته لقيادة الحركة الوطنية . والامر في تقديري لا يحتاج الى عناء كبير ، فحركة الشيخ القسام كانت تقوم على فكرة الجهاد المسلح ضد الاحتلال ، وان القوة وحدها هي التي تستطيع ان تمنع بريطانيا من اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين ، ولم تكن الاحزاب او القيادات القائمة في فلسطين في ذلك الوقت تؤمن بهذه الفكرة او تدعوه الى انتهاجها . وقد يكون هناك تعاون بين حركة القسام وبين بعض القيادات الوطنية ، لكني اعتقد — على ضوء ما توفر لدي من مصادر — ان الحركة لم تكن تابعة من حزب معين ، بل كانت منبثقة من احساس ديني عميق من رجال القسام ، وكلهم من الفلاحين والعمال ، بالخطر الذي يهدد حياتهم من جراء استمرار الهجرة الصهيونية المتدفقة الى فلسطين ونشاط حركة بيع الاراضي ، وان الوسائل السلمية والطرق المشروعة لم تعد تجدي فتيلا ، وان العمل المسلح وحده هو الذي يستطيع ان يعيد الامور الى نصابها . وهال الانجليز أن تقوم في فلسطين ثورة علنية ضدهم وضد سياستهم ، وراعهم ما تركه استشهاد الشيخ القسام من اثر في نفوس أهل فلسطين ، فعادت الحكومة الى استعمال سياسة التهدئة والتخدير ، واعلنت في ٢١ ديسمبر ١٩٣٥ عن عزمها على اشراك العرب في الادارة والتشريع ، ووضعت مشروع تأليف مجلس تشريعي(٧٨) .

تبقى بعد ذلك نقطة اخيرة وهي : هل كان الدافع لهذه الثورة دافعا اقتصاديا ام ان هناك دوافع اخرى ساهمت في قيام هذه الثورة ؟ لقد كان للعامل الاقتصادي اثره من غير شك في حدوث هذه الثورة ، لكن العامل الديني كان هو العامل الاساسي في قيامها . ويظهر ذلك بشكل واضح من دراسة شخصية الشيخ عز الدين القسام قائد هذه الثورة . فهو شخصية دينية هامة ، ورجل ذو مكانة اجتماعية ووضع اقتصادي مستقر، لكن تربيته الدينية وفهمه للاسلام جعلاه رافضا للظلم مستعدا لمقاومته ، ليس لمجرد المساهمة في تحرير جزء من وطنه ، بل تنفيذا لما أمر به الله سبحانه وتعالى من وجوب الجهاد في سبيله ومقاومة الظلم والظالمين .

ثم نأتي الى رجالات الشيخ عز الدين القسام ، فنجدهم جميعا من الرجال الذين التفوا حوله في المسجد واستجابوا لتعاليمه وعظاته ، ولم يكونوا أفقر النماذج الاقتصادية في المجتمع الفلسطيني ، فقد كان كل عضو يسلح نفسه على حسابه الخاص ويبذل شيئا مما يملك لعصبته ، لكنهم كانوا في نفس الوقت من الذين يرون الخطر يهدد بلادهم ،